﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(الرحمن: 1_4)

المحاضرة الثالثة: الأسلوب الإنشائي وأغراضه البلاغية

تمهيد:

سبق القول في المحاضرة السابقة أنّ علماء البلاغة قد قسّموا الكلام إلى **خبر وإنشاء** ونحاول من خلال هذه المحاضرة التطرق إلى النوع الثاني ، ونشير إلى أنّ " السكّاكي قد أطلق عليه اسم (**الطلب**) ، بينما " الخطيب القزويني " فقد أسماه (**الإنشاء**) ، ولا خلاف بين المصطلحين. فما المراد بالإنشاء ؟ وما هي أضربه ، وفيما تتمثّل أغراضه البلاغية ؟

أولا: تعريف الإنشاء لغة واصطلاحا:

الإنشاء في **اللغة** هو الإيجاد والاختراع ، وفي **الاصطلاح** ، هو عكس الخبر ؛ قول لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته ،فلا يُنسب إلى قائله صدق أو كذب ؛ لأنّه لا يخبر بحصول شيء أو عدم حصوله فيكون له واقع خارجي يُطابقه أو لا يُطابقه ، وإنّما يفيد أو يُطلب به إيجاد شيء على سبيل الإيجاب مثل: اجتهد ، أو على سبيل السلب مثل: لا تتكاسل.

ثانيا: أضرب الإنشاء

يقول " السكّاكي": " الطلب إذا تأملت نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ،ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول ". نفهم من هذا القول ، أنّ الإنشاء ينقسم إلى قسمين:

1. **غير طلبي:** وهو ما لا يُطلب به حصول شيء أو عدم حصوله.
2. **طلبي**: هو ما يُطلب به حصول شيء لم يكن موجودا عند الطلب.

ثالثا: الفرق بين الإنشاءين الطلبي وغير الطلبي:

- الإنشاء الطلبي يتأخّر وجود معناه قليلا أو كثيرا عن وجود لفظه ؛ بمعنى أنّ التلفّظ به يسبق الامتثال له. فمثلا إذا قلت: راجع دروسك ، فزمن القول منفصل عن زمن تنفيذ الأمر.
- أمّا الإنشاء غير الطلبي: فيتحقّق مدلوله بمجرد النطق به ، فإذا قلت مثلا: بعت ، يتحقّق البيع بلا فارق زمني بين التلفّظ ووقوع البيع.

رابعا: أساليب الإنشاء غير الطلبي:

1. **صيغ المدح والذم:** وهي نعم وبئس وحبّذا ولا حبّذا ، مثل: نعم العادل عمر ، وبئس الظالم الحجّاج.
2. **القسم:** يكون بالواو والباء والتاء ، مثل: قوله تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (التين: 1_2)، وغيرها مثل: لعمرك ما فعلت كذا.
3. **التعجب:** يكون بصيغتيه القياسيتين (ما أفعله وأفعل به)، مثل: ما أحسن الصدق ، أجمل بالوفاء ، أو بصيغه السماعية ، مثل: ليت شعري ، ولله دره ، وسبحان الله.
4. **صيغ العقود:** تكون بالماضي كثيرا ، مثل: بعتُ واشتريتُ واستأجرتُ ، ووهبتُ وأعتقتُ ورهنتُ ، وبغيره قليل ، مثل أنا بائع.
5. **الجمل المصدّرة بربّ أوبكم الخبرية :** مثل: رب عجلة تهب ريثا ، وربّ ضارة نافعة ، كم زرتك ولم تزرني.
6. **أفعال الرجاء:** وهي عسى وحرى واخلولق ولعلّ / مثل: لعلّ الله يأتي بالفرج.

وهذا القسم لا يبحث عنه في علم المعاني ؛ لأنّه لا يدل على الطلب لا بلفظه ولا بمعناه كما أنّ المباحث البلاغية المتعلقة به قليلة ، ولأنّ أكثر أنواعه في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى

الإنشاء ، بخلاف القسم الثاني الغني بالفوائد البلاغية واللطائف البيانية ، فما هي أساليب الإنشاء الطلبي ؟

خامسا: أساليب الإنشاء الطلبي

وهو خمسة أنواع: **الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء**. وقد تخرج هذه الأساليب عن أغراضها الأصلية إلى أغراض بلاغية مختلفة ، يحدّدها سياق الكلام.

1. الأمر: تعريفه ، صيغه ، أغراضه البلاغية

الأمر		
تعريفه	صيغه	خروج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق والقرائن
هو طلب إيجاد الفعل على وجه الاستعلاء. مثل: اقطف الورد. واسترض في البساتين. واسع في الخير. واعمل صالحًا.	للأمر صيغ أربع، وهي: ١- فعل الأمر. مثل: وفِّ بوعدك. ٢- المضارع المجزوم بلام الأمر. مثل: ليقم كل منكم بواجبه. ليلزم كل إنسان حده. ٣- المصدر النائب عن فعل الأمر. مثل: سعيًا في الخير. صبرًا على الشدائد. ٤- اسم فعل الأمر. مثل: إيه (زد)، ومه (اكفف).	وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال. وذلك فيما يلي: ١- الدعاء. مثل: ربِّ وفقني فأعمل صالحًا، واغفر ذنوبي. ٢- الالتماس. كقولك لمن يساويك: انتظرني حتى أؤوب. ٣- التمني. مثل: يا قلب اثبت على ما حل بك. ٤- الإكرام. مثل: وادخلوها بسلام آمنين شرفوها حيث كنتم أهلها ٥- الإهانة. مثل: كونوا حجارة. كونوا قردة خاسئين. ٦- التعجيز. مثل: ردَّ عنك الموت. ومثل: يا لبكر أنشروا لي كليبًا يا لبكر أين أين الفرار. ٧- التهديد مثل: اعمل ما شئت. افعل ما بدالك. ٨- التسوية. مثل: وأسروا قولكم أو اجهروا به. ٩-التخيير. مثل: خذ هذا أو ذاك. اكتب بطاقة أو رسالة. ١٠- الإباحة. مثل: اجلس كما تشاء. اختر ما تحب. ١١- الإرشاد. مثل: أقلل طعامك. اكتب ما لك وما عليك.

2. النهي: تعريفه ، صيغته ، أغراضه البلاغية

تعريفه	صيغته	خروج صيغته عن أصل معناها إلى معان آخر تفهم من المقام
هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء. مثل: لا تخن وطنك. ومثل: لا تشرك بالله. ومثل: لا تُشِن ولا تنم. ومثل: لا تظلم فإن الظلم مرتعه وخيم.	للنهي صيغة واحدة وهي لا الناهية مع المضارع. مثل: لا تعجل فيما تعمل. ومثل: ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾. ومثل: لا تغشَ مجالس الفجور.	وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تفهم بالقرائن من سياق الكلام، وذلك كالآتي: ١- الدعاء. مثل: ربِّ لا تشمت بي الأعداء، لا تكلنا إلى غيرك يا مولاي. ٢- الالتماس: كقولك لمن يساويك: لا تنتقل من هنا. لا تفعل هذا. ٣- التسلية والتصبر. مثل: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾. لا تجزع فإن الله لطيف بعباده. ٤- الإرشاد. مثل: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾. ٥- التمني. مثل: لا تولِّ يا شباب. ومثل: لا تتحرك يا فلك. ومثل: يا صبح قف لا تطلع. ٦- التهديد. مثل: لا ترجع عن غيك. ومثل: لا تطع أمري أيها الخادم العنيد. ٧- التوبيخ. مثل: لا تنه عن خلق وتأتى مثله* عار عليك إذا فعلت عظيم. ٨- التيئيس. مثل: ﴿لا تعتذروا اليوم﴾. لا ترج السماح. ٩- الدوام. مثل: ﴿فلا تحسبن الله غافلًا عما يعمل الظالمون﴾.

3. الاستفهام: تعريفه ، أدواته ، أغراضه البلاغية:

هو طلب فهم شيء لم يتقدّم لك علم به ، بأداة من إحدى أدواته ، وهي: الهمزة ، هل ، من ، متى ، أيان ، أين ، أنى ، كيف ، كم ، أي. وتنقسم بحسب الطلب **ثلاثة أقسام**:

- ما يُطلب به التصوّر تارة ، والتصديق أخرى ، وهو **الهمزة**.
- ما يُطلب به التصديق فحسب ، وهو **هل**.
- ما يُطلب به التصوّر فحسب ، وهو **باقي الأدوات**.

الأغـــراض البلاغيـــــة للاستفهـــــــام	
النفي	إذا حلت أداة النفي محل أداة الاستفهام وصح المعنى "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟" "من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه؟ وسلا مصر هل سلا القلب عنها ** أو أسا جرحه الزمان المؤسي؟
التقرير والتأكيد	إذا كان الاستفهام عن جملة منفية "ألم نشرح لك صدرك" - "ألست بربكم" ألست أعمهم جودا وأزكاهم ** عودا وأمضاهم حساما؟
الاستنكار	إذا كان الاستفهام عن شئ لا يصح أن يكون " أغير الله تدعون" أحرام على بلابله الدوح ** حلال للطير من كل جنس؟
المدح والتعظيم	إذا كان الاستفهام يفيد الإشادة والتمجيد من هؤلاء الذين بنوا مجد مصر؟ من ذلك الساري عليك سلام ** كادت تسير وراءك الأهرام؟
الذم والتحقير	إذا كان الاستفهام يفيد التهكم والسخرية فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ** أطنين أجنحة الذباب يضير؟
اليأس والاستبعاد	إذا كان الاستفهام بعيد غير متوقع "أني لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه"
الحيرة والاضطراب	إذا كان الاستفهام يوحي بالقلق وعدم الاستقرار أسراب أنت؟ أم أنت الأمل؟ ** في نفوس تتمنى المستحيل
التمني	إذا كان المستفهم عنه محبوبا للنفس أو صعب المنال "فهل لنا من شفعاء فيشفعون لنا " "وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل" يا مصر هل بعد هذا اليأس متسع ** يجري الرجاء به في كل مضطرب؟
التعجب	إذا كان الاستفهام عن شئ يثير الدهشة و الاستغراب يا ابنة اليم ما بأبوك بخيل ** ما له مولعا بمنع وحبس؟
التحسر و الحزن	إذا كان الأسلوب يفيد اللوعة والندم على أمل ضائع "يا دار ، أين من كان يعمرك ويضئ حجراتك؟
التشويق والأغراء	إذا كان الاستفهام يتضمن ما يغري ويثير الانتباه "ما تعدون الصرعة فيكم .....؟ "يأيها الذين أمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم....."

4. التمني: تعريفه ، أدواته ، أغراضه البلاغية

هو طلب حصول شيء محبوب لا يُرجى حصوله ، إمّا لكونه مستحيلا ، وإمّا لكونه بعيد التحقّق والحصول ، فأن كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجّيا ويعبّر فيه بعسى ولعلّ.

الأغـــراض البلاغيـــــة للتمنـــــــــي		
الأداة	المعنى	المثال
لعل	إذا كان الشئ المتمني قريب الوجود مما يرجى حصوله	ـ "يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى اله موسى" ـ لعل الذي يقضي الأمور بعلمه سيصرفني يوما إليها على قدر
هل	إذا كان الشئ المتمني في صورة الممكن المطموح في حصوله	"فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا "
لو	لإظهار عزة المتمني وندرة حدوثه	ولى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشتري أو يرجع "يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض"
هلا	للحضيض	هلا بعثتم لنا من ماء نهركم شيئا نبل به أحشاء صادينا؟

5. النداء: تعريفه أدواته ، أغراضه البلاغية

هو دعوة المخاطَب بحرف نائب مناب الفعل (أدعو) ونحوه ، وأدواته ثمان: يا ، الهمزة ، أي ، آي ، آ ، أيا ، هيا ، وا.

أدواته واستعمالها	تنزيل القريب منزلة البعيد	تنزيل البعيد منزلة القريب	خروج أدوات النداء عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تفهم بالقرائن
للنداء أدوات ثمانٍ، وهي: يا، الهمزة، أي، آ، آي، أيا، هيا، وا، استعمالها: ١- الهمزة، وأي للقريب. ٢- يا للقريب والبعيد. ٣- آ، وآي، أيا، وهيا، ووا للبعيد فقط	قد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بما يأتي: أيا، آ، آي، يا، هيا، وا. إشارة إلى رفعة المدعو وعلوه. مثل: يا أله. ومثل: يا مولاي، أو إشارة إلى انحطاط درجته أو غفلته مثل: تأدب يا هذا. ومثل: هيا غافل عن عمله.	وقد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى بما يأتي: (الهمزة، أو أي)، أو يا في أحد استعمالها إشارة إلى أنه حاضر في الذهن. مثل: أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي سكان (نعمان الأراك. علم على بلد ببلاد المغرب) فقد ناداهم بالهمزة وهم بعيدون عنه لحضورهم في ذهنه.	قد يستعمل النداء في غير الطلب فيما يأتي: ١ – الدعاء: مثل: (ياألله، ومثل: يا رب العباد ارحم). ٢ – الإغراء مثل: (يا شجاع) للمتردد في الضرب. ٣– التحسر والتوجع. مثل: (يا درة نزعت من تاج والدها فأصبحت جلية في تاج رضوان). ٤ – الزجر مثل: أفؤادي متى المتاب. ٥ – التذكر والتحسر. مثل: (أيا منزلي سلمي سلام عليكما هل الأزمن اللاتي مضين رواجع). ٦ – التحير والتضجر. مثل: أيا منازل سلمى أين سلماك؟ ٧– الندبة. مثل: واوطناه يا قلباه. ٨ – التعجب مثل: يا للداهية الدهياء. ٩ – الترحم. مثل: يا مسكين. ١٠ – الاستغاثة. مثل: يا أله للمصريين.

■ خاتمة:

نخلص إلى القول: إنّ لمباحث الخبر والإنشاء قيمة عالية في الدرس البلاغي ، وذلك بالنظر إلى ما تؤديه من معاني بيانية وفوائد بلاغية لها بالغ الأثر في النفوس ، ولا شكّ أنّ معرفتها يتطلّب حسّا مرهفا وذوقا رفيعا ، وطول تأمّل ويقظة. وتكفي قراءة مختلف الأساليب العربية المتعلّقة بها حتى ندرك سمو ورقي اللغة العربية.

- **المراجع:**

1. البلاغة فنونها وأفنانها _ علم المعاني _ ، فضل حسن عباس ،دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 4 ، 1997 ، من ص 138 إلى ص 203.
2. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، بيروت _ لبنان ، ط 1 ، 1999 ، من ص 69 إلى ص 92.
3. البلاغة الاصطلاحية ، عبده عبد العزيز قليقلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 3، 1992 ، من ص146 إلى ص 182.
4. علوم البلاغة _ البيان والمعاني والبديع ، مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط 3 ، 1993 ، من ص 61 إلى ص 81.